(العدد الخامس) (السنة الاولى)

المؤيد

(غرة رمضان المعظم سنة ١٣١٦) (١٣ يناير سنة ١٨٩٩)

﴿ الامة ومشخصاتها ﴾

الامة مجموع أفراد متضامنين تربطهم وحدة المنفعة يشرك بعضهم بعضاً فى حقوق وواجبات لاتقبل القسمة لهذا التركيب شروط لازمة لوجوده ان خلا منها أو من بعضها أصبحت الامة لفيفاً من الناس منافعهم متضادة ومشاربهم مختلفة لاتفلح لهم حكومة ولا تسعد لهم حال بل هم بذلك همل حكومتهم الفوضى وتقدمهم التقهقر فالتلاشي

الفرق بين الامة المدنية وبين مانسميه باللفيف أفراد هو أن الامة لها شخصية أدبية وروح حية عاملة على جلب المنفعة لها ودرء الضرر عنها . أما اللفيف ولو انه مجموع أناسى الا انه لاروح له البتة فالناس فيه تحسبهم جميعاً وبين الواحد والآخر بعد مابين المشرقين . أجسام متقاربة متشاكلة وأرواح متنافرة متباينة لو انها اقتربت هى الاخري وتجاذبت لتكون من نتائج اقترابها روح حية كبيرة هي ماسميناها بروح الامة ولاصبح ذلك اللفيف أمة لهاروح بعدان لم يكن . مثل الامة مشخصاتها مجموع الامور الوجودية التى تكون روحها العامة كمثل الانسان الفرد أخلاقه المميزة له مظاهر روحه

الانسانية بما انطوت عليه من الفضيلة والرذيلة . ولما ان روح الامة مركبة من صفات ثابتة تستمدها من الافراد المكونين لها فكمالها ونقصها تابعان لمقدار ماتمدها به نفوس الافراد من تلك الصفات

على المشابهات والفروق التي توجد بين الافراد تبنى مشخصات الامة فتكون تلك المشخصات واضحة ظاهرة مميزة للامة كلما كثرت المشابهات بين أفرادها وتقصر المشخصات عن التميز وافادة الشخصية الواضحة كلما اتسع نطاق الفروق بين الافراد . لاتحوجنا هذه القضية الي أدلة طويلة يملها القاريء . بل هي تكاد تكون من البديهيات الاولى : من المعلوم ان الامة مجموع الافراد فصفاتها هى الصفات المشتركة بين أفرادها فلو كانت الصفات متباينة لاستحال جمعها اذ الجمع انما يكون بين الاشياء التى هى من نوع واحد فلو ان لكل فرد أخلاقا وعادات تباين أخلاق الآخر وعاداته لما أمكن وصف الامة بخلق ما لانها لو وصفت باخلاق كل الافراد على التعداد لزم عليه وصف الشيء الواحد بأوصاف متضادة فى آن واحد فيصدق على الامة اذن أن تكون نشطة كسولة حليمة حمقاء وكريمة بخيلة فى حال واحدة باعتبار واحد وهذا خلف

الاصول التى اليها ترجع المشابهات بين الافراد كثيرة نفرد لاهمها كلمات مستقلة

(١) اللغة والتمسك بها

لايفهم من التمسك باللغة الوقوف بها عند الحد الذى وصلت اليه وقت وضعها وعدم خدمتها وتوسيع نطاقها حتى تكفل بحاجات الآداب والعلوم ومقتضيات الازمنة وأغراض الكلام بل الغرض هو على العكس من ذلك

خدمتها والاجتهاد فى توحيدها وعدم تركها تشذ عن أصولها فتكون لغات أخري ربما لاتشابهها فى أكثر من الاسم

اللغة جامعة من أكبر الجوامع فتبديدها أو تركها تتبدد على مثل ماوصفنا هدم لركن كبير من أركان الاجتماع الامي لاغرابة فى ذلك فان من أصول الاجتماع الاول الالفة والتعارف والاتفاق على الغلبة على الحاجات تلك أغراض لاظهور لها فوق الاجسام انما هى معان قائمة بالنفس تحتاج في ظهورها الي التأثير النفسي الذي قد يكون بالنظرات والاشارات بجزئه الاقل ولكنه بالالفاظ والكلام أى بالغة أجلى وأكمل . فما ظنك برجلين من أمة واحدة متضامنين لهما منافع مشتركة ومقاصد عامة يقبل أحدهما على الآخر يحاول أن يفهمه مقاصده وهما لايتفاهمان ؟ أيمكن أن يقال بأن مثليهما يكونان عضوين من عائلة واحدة ؟ أو يمكن أن يوجد بينهما على هذه الحال مايجب وجوده بين الشركاء من التجاذب والاتحاد فى الرأى أو الفكر ؟

لكل لغة آداب وأفكار واسعة خاصة بأهلها قلما توجد عند غيرهم من أولى لغة أخرى ، لذلك أشار « شارلكان » بقوله « ان الرجل الذى يعرف أربع لغات يساوي أربعة رجال » ذلك لانه يكون قد أحاط بآداب أربع لغات وأفكارها أى بآداب أربع أمم وأفكارها لالانه ينطق بلغات متباينة اذ يمكن تعليم البيغاء مثلا أربع لغات مختلفة وهو بعد ذلك لايساوى الابيغاء . للغة في آدابها المكتوبة والمسموعة أسرار تفيض على نفس العارف بها أخلاقا خصوصية وتكسبه عادات جبرية ولو شذت عن أخلاقه وعاداته الاولى . اليك انسانا مصريا مثلا فى سن الرضاع دعه يعيش فى مصر ولا يخرج منها لاتعلمه لغة البلاد بل علمه اللغة الفرنساوية مثلا تراه اذن انفعلت

نفسه باخلاق الفرنساويين وعاداتهم وآدابهم ونبذعادات أمته التى ربى فيها يعاف الثريد ولو تضور من الجوع ويألم الوضوء والصلاة ويترك وقار الشرق الي خلاعة الافرنجى لاتملح فى عينه ذات العين السوداء بل ينسب بذات الشعر الاصفر والعين الزرقاء ولا يخالط قلبه أدني احترام للمصري أخيه ولا لامه وأبيه وفصيلته التى تؤويه يرمي دينه وقرآنه بالقصور عن أن يتناول مقتضيات الزمن الحاضر والتمدن الجديد ويقول من هم العرب ؟ جماعة من الرعاة ساعدتهم الصدفة على ان أغاروا الغارة البربرية على بلاد ما أقاموا فيها طويلا لانهم ماعرفوا قانون الاستعمار ولا درسوا أصول القوانين على الحكيم (مونتسيكو) ولا تخرج سواسهم على (روسو) ..... الي آخر ماتنفعل به نفس الفرنساوى من مباديء تربيته . أتظن بعد هذا أن يكون مثل ذلك الشخص مصريا يشرك مواطنيه فى آرائهم وأفكارهم ويكون عضواً من وحدتهم الامية ؟ كلا بل هو بلونه وسواد شعره مصرى وهو بروحه وأمياله وأمانيه فرنساوى لانه عرف الامة الفرنساوية بعلمه لغتها فأحبها وجهل أمته فعاداها ومن جهل شيأ عاداه . انما تصدق الجماعة على من اتحدت أفكارهم أو تقاربت وتشابهت أخلاقهم وان تعددت وانما تتحد الافكار وتتشابه الاخلاق بين من اتحدت لغتهم وحسبك ماقدمنا على ذلك دليلا

بقاء لغة الامة فأل حسن ببقائها ففي لغة الامة تاريخ مجدها وفيها أمثالها العامة وأناشيدها الحماسية وفيها عظات حكمائها وتخيلات شعرائها واني لأغلو فى الامر اذا قلت ان من لايعرف لغة أمة يستحيل عليه أن يعرف تاريخها الا مايكون من المعلومات السطحية كسرد حوادث وأسماء ملوك وعظماء

الي غير ذلك مما لا يجدى متعلمه نفعاً كثيرا وليس من التاريخ المربى فى شيء كبير . اذ التاريخ تاريخ أسباب الحوادث ودرس الحركات الفكرية التي تقوم بالامم فتربو فيها ثم تنفجر بمظاهر غير عادية تلك المظاهر هى الحوادث التاريخية كالثورات وانقلاب الحكومات الخ وهذا لا يكون الا بمعرفة اللغة اذ فيها كما قدمنا أمانى الرجال أصحاب الاعمال تظهر على ألسنتهم فى خطبهم وتتنسم من خيالاتهم في شعرهم وأمثالهم المضروبة

كذلك تأخر اللغة وعدم العناية بتحسينها وتصييرها سهلة التعلم محيطة بكل المقاصد طائر نحس على أمتها فأين لغة اليهود ؟ ماتت . أين أمتهم ؟ بادت وقليل منهم باقون

فاللغة للامة صبغة تمتاز بها كما يمتاز الفرد بصبغة قومه ان سوداء فهو زنجى وان صفراء فهو مغولي . فهى من أول المميزات بين الامم فالتنازل عن اللغة تنازل عن الجنسية بل هو تنازل عن الشخصية وما أمة لا لغة لها الا لفيف أفراد لا روح له ولا جامعة

تذييل فيما يختص بلغتنا . — ان أولادكم ان لم تعلموهم لغتكم وتاريخكم لأصبحوا لا يحفظون لكم عهداً ولا يرعون لكم ذمة بل لاصبحوا يجهلونكم ويهزأون بأفكاركم وعقائدكم فلا يتمون لكم مقصداً قصرت آجالكم عنه ولا يحترمون لكم وصية تعلقت بنفاذها رغبتكم اذا احتضركم الموت بل لا يرحمونكم في قبوركم لانهم أعداؤكم بجهلهم اياكم ومن جهل شيأ عاداه

اللغة في هذه الازمنة لا يقصر الغرض منها على مجرد التفاهم البسيط بل أصبح من أغراضها تفهيم العلوم وترقية الاحساسات بالعظات وتأثير النفوس بالخطب والشعر فهى الواسطة الوحيدة فى لم شعث الافكار فى الامة

الواحدة وردها الى مبادىء ثابتة ينبنى عليها الاجتماع الانسانى الكامل. من أجل ذلك يجب أن تكون اللغة الفصحى التي تكتب بها العلوم والآداب سهلة التعلم كثيرة التداول على ألسنة العوام حتي يجد العالم لعلمه مستفيدا والشاعر لشعره متأثراً والخطيب لقوله منصتا والا فقدت اللغة غرضها الاول فى الجمعية المدنية أو الامة الراقية

لغتنا العربية لغة الحكمة والخطابة لغة الوصف والشعر لغة الآداب لغة العلم أصبح تعلمها علينا أبعد منا لا من تعلم اللغات الاجنبية . ليس من غرضنا البحث فى أسباب ذلك فهي شهيرة معلومة بل الغرض البحث على طريقة تسهل انتشار اللغة الفصحى بين القوم وابدال هذا النطق الغير العربى الدائر اليوم على السنة الناس الخواص منهم قبل العوام بنطق عربي فصيح

هذا غرض يكفينا فى الحصول عليه ابسط الاشياء : محو الشكل وابداله بالحروف اللينة لتدل على الحركات فان قصدت الدلالة على المد رسمت علامة المد (آ) على الحرف اللين الممدود

بيان ذلك

(١) حروف الهجاء كلها ساكنة الا الالف والواو والياء

(٢) لا يتحرك الحرف الساكن الا اذا اتبع بحرف متحرك فالفتحة تكون بالالف والكسرة بالياء والضمة بالواو

(٣) الحرف المتحرك الممدود تكون الدلالة على مده علامته المد هذه (آ)

(٤) التنوين يظهر في الرسم كما يظهر في النطق وعلامته نون (ن) تكتب بعد الحرف المنون مسبوقة بالحرف اللين نحو زايدون (زيد) وزايدان (زيداً) وزايدين (زيد)

(٥) يجب فك الادغام دائما في الرسم فيكتب الحرف المشدد دائماً بحرفين مثاله ماددا {مدّ}

(٦) ال أداة التعريف ان وقعت شمسية تكتب كما هي وان كان يجوز كتابتها على حسب النطق الا انه من المستحسن ان يشذ بها عن القاعدة لحفظ شخصيتها

(٧) يلاحظ ان الهمزة هي من الحروف الساكنة فترسم دائماً بمفردها ويتبعها حرف المد على حسب الاحوال

هذه طريقة نحن ما ابتدعناها ولكنها الطريقة الطبيعية لرسم الكلمات كما يتلفظ بها وانها لتدور في خلد كثير من محبي اللغة العربية ومحبي نشرها . وليس الشكل من أصول اللغة بل هو أمر عرض لها بعد الاسلام خشية عليها من التحريف في أواخر الكلمات ومبانيها . وفي هذه الايام أهمل الشكل بالمرة فلا هو يستعمل في الكتب حتى نقرأ كما أراد المؤلف ان تقرأ ولا هي تكتب في الجرائد حتى يألف العامة النطق الصحيح ان لم نقل الخاصة وهذا اقتراح نقدمه لمن يهمهم أمر اللغة حتى يزيدوا عليه ما عسانا نكون أهملناه كما اننا لسنا في حاجة الى التدليل على فائدة ابطال الشكل وتغييره بالحروف اللينة التي هي بذلك لا تدل على أكثر من الحركة للحرف الساكن اذ الفائدة منه لا تحتاج الى دليل .

أحمد لطفي السيد